**هدف المحاضرة:** التعرف على فلسفة سقراط، وكيفية انتقال هذه الفلسفة من دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان.

**المحاضرة السادسة: المدرسة السقراطية**

ولد سقراط ( 469 ـــ 399 ق م ) في أسرة أثينية متوسطة الحال لأب يعمل نحاتا، ولأم تعمل قابلة. ويعد أبرز فيلسوف يوناني، بل هو أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، وهو من أعظم الفلاسفة الذين برعوا في الفلسفة والحكمة والأخلاق، وعلى الرغم من أن سقراط لم يترك خلفه كتباً بخط يده، إلا أنَّ كل ما وصل إلينا منه هي كتابات من تلاميذه منقولة عنه وأبرزهم افلاطون. ولقد كافح سقراط طوال حياته من أجل مبادئه ودافع عنها دفاع المستميت حتى مات من أجلها فأصبح شهيد الفلسفة الأول، وقد قال عنه شيشرون الكاتب الروماني "لقد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض"، إذ يُعد سقراط واحداً من أشهر وأهم الفلاسفة العظام الذين اهتموا بالبحث في مجال الأخلاق بشكل خاص، وسقراط يعد مؤسس فلسفة الأخلاق الأصلية، وبه ينقسم تاريخ الفلسفة إلى ما قبل سقراط وما بعده، ومعه بدأ التحول من النزعة الطبيعية المادية إلى المثالية.

**أولا: الفلسفة قبل سقراط**

تختص الفلسفة قبل عصر سقراط أساساً بمسائل مثل كيف وُجد العالم؟ ومن أي شيء صُنع؟ ولقد اقتنع سقراط بأنه من المستحيل الإجابة عن هذه التساؤلات، وبأن دراسة هذه المسائل لن تلقي أي ضوء على السبيل الحق للحياة. واتخذ سقراط لفلسفته شعار "معبد دلفي": إعرف نفسك بنفسك"، وأراد بذلك أن يغوص في أعماق الطبيعة البشرية والنفس الإنسانية. وقد آمن بأن الآثام كلها وليدة الجهل، وأن الناس لو عرفوا فقط ما هو الحق، لما وجدوا صعوبة في اتباعه. وهذا هو معنى القول المأثور الذي يُعزى إليه: "الفضيلة هي المعرفة"، اطلع سقراط على أعمال عدد من الفلاسفة العظماء الذين سبقوه مثل الفيلسوف زينون الإيلي، والفيلسوف والمفكر الرياضي فيثاغورس، ومن المرجح أيضاً أن سقراط عرف فكر هيراقليطس. ويزعم البعض أن سقراط كان بادئ الأمر تلميذاً للسفسطائيين، وأنه هو نفسه كان سفسطائياً ومعلم بلاغة، إلا أنه من المؤكد أنه أصبح مناهضاً للسفسطائية عند تبلور شخصيته الفلسفية.

ونستطيع القول: إنَّ فلسفة سقراط تختلف عن فلسفة القدماء في أنها تركت التجوال فيما وراء الطبيعة والتنقيب في العماء الأول، وهبطت إلى الأرض تتخلل نفس الإنسان فأهم أغراضه أن يعرف نفسه، ويعرف الفضيلة التي شغلت من ابحاثه المحل الأول، وكان يفخر بجهله المظاهر الخارجية، وينسب ما يعزى إليه من تفوق عقلي إلى هذا الجهل. " لا أدري سوى شيء واحد، هو أنني لا أدري شيئاً".

**ثانيا: فلسفته**

سقراط كان فيلسوف أخلاق، وصب فلسفته على النصائح والإرشاد والتحلي بالخلق الرفيع، الذي يرفع من شأن الانسان ويحدو به الى العلياء، وترك سفاسف الأمور. وقد انسجم سقراط أول الأمر مع نظريات الطبيعيين وبخاصة نظريات انكساغوراس، وذلك حسبما جاء في محاورة «فيدون»، وانتصر لمعرفة الطبيعة، ولكنه ترك الطبيعة للآلهة ليشغل نفسه بالناس وبمسائل الأخلاق، حيث عمل على إنشاء نظام أخلاقي يقوم على العقل البشري، وأشار إلى أن اختيار الإنسان ينبع بدافع الرغبة في السعادة، والحكمة تأتي من معرفة الذات، وأن أكثر شخص يعرف هو الذي له القدرة على اتخاذ القرارات التي من شأنها أن تجلب له السعادة الحقيقية، والسمعة الحسنة وسط مجتمعه. لذلك كانت نقاشات سقراط التي لا تنتهي تلقى اهتماماً كبيراً من قبل الشباب، مما أثار قلق أولياء الأمور، الأمر الذي جعل بأن يتهموه بالإلحاد وبإفساد أبنائهم،

كان "سقراط دائم البحث عن المعرفة وفلسفته متجهة اتجاها كلّيّاً إلى الإنسان، فهي إذن أخلاقية تقود الإنسان إلى الكمال والفضيلة، وسمو الفضيلة على الرذيلة، فالأخلاق السقراطية مبنية على المعرفة لأن الفضيلة تقوم على العلم. فالكرم ليس العطاء فحسب، وإنّما معرفة كيفية العطاء، ومن الذي يستحق العطاء؟ والشجاعة هي إدراك الخطر، واختيار الأساليب المناسبة لإزالته. ولكن أوّل خطوة في ميدان المعرفة مسألة لا يمكن الإنسان أن تنتظم حياته إن لم يدركها، فهي قاعدة اجتماعية إنسانية مهمة من أجل تنظيم الحياة، وجلب السعادة؛ هذه القاعدة السقراطية هي: "أيّها الإنسان إعرف نفسك بنفسك". المعرفة عند سقراط هي أساس الحكمة، والحكمة هي سبيل الوصول إلى الخلق السليم، ومعرفة النفس تأتي في مقدمة هذه المعارف، لأن معرفة النفس، بما في طبيعتها من خير ومعرفة قدراتها، تجعل الإنسان يدرك موقعه من الآخرين، وبذلك تستقيم علاقته بهم، أعطى سقراط للمعرفة مكاناً رئيساً في فلسفته، خاصة الأخلاقية، فكانت عبارته المشهورة: "العلم فضيلة والجهل رذيلة". وسقراط هجر كل أنواع العمل، ولم يأبه لأية فلسفة تتعلّق بالطبيعة وموجوداتها، ولا بأخرى ماورائية تتجه إلى مسائل مجرّدة، وإنما صرف جلّ اهتمامه إلى المعرفة التي يكون الإنسان مصدرها بطريقة التوليد من ذهنه، وتكون غايتها نشر الفضائل في المجتمع.

**ثالثا: منهجه**

إن منهج سقراط في التفلسف أو مايعرف بالطريقة السقراطية، يقوم على دعامتين هما: التهكم والتوليد و هما بمثابة مرحلتين:

 **المرحلة الأولى ( التهكم ):** وهي صفة مميزة لأسلوب سقراط الجدلي، فهو دائما مايلجأ الى التهكم و السخرية من مناظريه، فهذه المرحلة يتظاهر سقراط بالجهل و عدم المعرفة، وهذا مايجعل خصمه يؤمن للحظة أنه متفوق عليه و أعلى منه مرتبة ، لكن ما إن يبدأ في التحدث حتى تظهر شخصية سقراط الحقيقية و الفطنة و التي تستطيع أن تكشف عن آراء الخصم الهزيلة و مواقفه المتناقضة و الغيرالمنطقية .
**المرحلة الثانية ( التوليد):** في هذه المرحلة بعد أن تم له تطهير نفس خصمه من الآراء المزيفة و الأوهام، يشرع في بناء المعرفة على أسس جديدة ، فهو يقوم بالتهكم بغرض الهدم و التوليد بغرض البناء ، فهما خطوتيتن متتاليتين، و هذا المنهج هو أساس أي علم أو بناء معرفة جديدة، و يعرف على سقراط بهذا الخصوص أنه كان يمارس مهنة والدته القابلة ، فهو يمارس فكريا الصناعة من حيث تو ليد الأفكار من عقول محاوريه .

**رابعا: محاكمته وإعدامه**

يشير معظم الذين أرخوا قضية إعدام سقراط الى أنه سخط عليه الشعراء والخطباء والسياسيين، لأنه كان يحاورهم فيغلبهم ويبطل آرائهم، ويكشف زيفهم للملأ، فسخطوا عليه وحقدوا، وتمنوا لو تسنح لهم الفرصة حتى ينتقموا منه شر انتقام، كردة فعل لأنه أهان كرامتهم.

وهناك ثلاث شخصيات من الذين نالتهم سخرية سقراط، وهم: انيتوس، ومليتوس، وليقون؛ وهؤلاء الثلاث كتبوا عريضة ووقعوها بأسمائهم، ورفعوها للمحكمة يتهمون فيها سقراط بالكفر والزندقة وإفساد عقول الشباب ، فألقوا القبض على المعلم الكبير سقراط بتهمة الكفر والمروق عن الدين، ليمثل امام المحكمة لغرض الدفاع عن نفسه، او تثبت ادانته، فأثبتت ادانته، وأصدرت المحكمة حكمها التعسفي، وكردة فعل هيئوا له تلاميذه ومحبوه من بقية الشعب، أسباب هروب ناجعة، لكن سقراط أبى واعتبر هروبه لو تم فهو خيانة عظمى بقوانين بلاده، فقدموا له كأس السم، وكان حكم الاعدام في ذلك المجتمع بارتشاف كأساً من السم،

فتناوله بإقدام وشجاعة نادرتين، فافرغه في جوفه، وكله ايماناً بأنه سوف يذهب الى عالم آخر هو ليس مثل هذا العالم المادي المبني على النفاق والكذب، ففاضت روحه، وارتفعت للسماء، وظلت تعاليمه وفلسفته العظيمة الى يومنا هذا، رغم مرور قرون طويلة عليها، وظلت مناراً للفلاسفة والمفكرين.